

4 أزمة العلم وعالقتها بالنقد الاستيمولوجي: تنشأ الأزمة في العلم في حالة وجود مفاهيم هي بذات الوقت موضوع للحديث الفكري والحديث العلمي على السواء، وهما وناقصا، فيتحدثون في هذه الحالة عن وجود "أزمة" في العلم. والتصورات املبئية حول موضوع معين معاملقوات العلمية القائمة التي تتناول هذا املوضوع يخلق أزمة. ووهمية ونقصان هذا التصور يأتيان من صفته الذاتية، فالأزمة التي يتحدث عنها هؤلاء املفكرون ليست أزمة في العلم بقدرما هي أزمة داخل أنساقهم الفكرية التي تتبنى مفاهيم ثابتة، وبطبيعة الحال كما هو مالحظ يعاني املشتغلين بالسوسيولوجيا تحديدا العربية هذه الأزمة. أزمة تصوراتهم الفكرية مع القضايا العلمية للسوسيولوجيا والتي هي في هذه الحالة سوسيولوجيا غربية، ما يجعل عملية النقد الاستيمولوجي عسيرة، لذلك طرحت فكرة علم هذا التحديد للمشكلة الاستيمولوجية بكونها مشكلة علمية ال مشكلة فكرية يمكن من تعيين بصورة أوضح معنى النقد في مهمة الاستيمولوجيا، بل هو يعني بيان الدالات املعرفية لتلك النظريات، تحقيق هذه املهمة يعتمد في الوقت ذاته على تحديدنا للشروط التي ينبغي أن تتوفر في الاستيمولوجي لكي يقوم بالوظيفة النقدية امللعنى املحدد مسبقا، وفي ذات السياق يضعنا جاستون باشالرأمام الحقيقة التالية: ال يمكننا أن نفكر في مهام الاستيمولوجيا دون أن نأخذ وقيدي، 1983 الصفحات 12-13. وقد حدد محمد وقيدي مهمة النقد الاستيمولوجي في ثالث مراحل (وقيدي، أ. إبراز القيم الاستيمولوجية التي أدى إلى بروزها إنتاج علمي قائم منذ عقود من السنوات. ب. التوقف عن مظاهر التعطل والنكوص في املمارسة العلمية في مجال العلوم الإنسانية ومنها علم الاجتماع) من أجل معرفة العوائق الاستيمولوجية، وذلك عن طريق الكشف عن ال وعي املمارس العلمي فيها. ج. العالم العربي من أجل البحث في وضعيتها وإبراز مشكلتها. كما حدد عبد الكبير الخطيبي (2000) مهمة الناقد الاستيمولوجي بعمل نقدي مزدوج، "تمثل كاميلى: أ. تفكيك املفاهيم الناتجة عن املعرفة السوسيولوجية والكتابة السوسيولوجية والكتابة التي كانت تتكلم باسم العالم العربي ويغلب عليهما الطابع الغربي وايدولوجيته املتمركزة على ب. في الوقت ذاته نقد املعرفة والكتابة السوسيولوجية اللتين أنجزتهما مختلف مجتمعات العالم العربي حول ذاتها. وتفتح أمام رجال علم الاجتماع امكانية معرفة علمية أقل استالبا وأكثر كيفا مع خصوصية املوضوع املطروح. وتأخذ بنيتها بالنسبة لتفكير خاص، وأحداث معينة في الزمان واملكان، وتندرج في كتابات لها منطقها واملفاهيم الكتابات تترايط ولكن نالحظ أنها في كل مرة تأخذ صورة نظرية (الخطيبي، 2000، صفحة 187). وفي نفس السياق ينطلق أنور عبد املالك (2005) في معرض حديثه عن مستقبل النظرية وكذلك عدم كفاية الجهاز املفاهيمي للعلوم الاجتماعية، وتنبع عدم الكفاية تلك بدورها وفي شكلها املقابل من حقيقة التباين، أي التباين بين مجتمعات الغرب التي أسست املواد التحليلية الجوهرية للشروح املدققة صفحة 51. منظومته املعرفية مركزة على صورته ووفق خصوصيته وليست موجهة للعالم الآخر. ومن هنا تتأسس مشروعية النقد املفاهيمي التي طرحها أنور عبد املالك في كتابه الجدلية الاجتماعية (la sociale dialactique) على أن املفاهيم ذات طابع خصوصي تجزيئي غير عالمي. ينبغي إعادة بنائها وفق معطيات العالم الواقعي والوجود الفعلي للمجتمعات املحددة في إطار الزمان واملكان، لتكون يهدف النقد الاستيمولوجي إلى إبراز ومعرفة الأساس الاستيمولوجية التي ينطلق منها الإنتاج العلمي، وعوائق تقدمه في مسيرته التطورية. وكذا نقد نظريات العلم في محاولة فهم ميكانيزمات الواقع، إلى مفاهيم (مدى مطابقة املفاهيم املجردة للواقع امللموس)، والعودة إليه بنظرة مستقبلية تنبؤية. إذن النقد الاستيمولوجي هو إبراز درجة تطور علم ما (في موضوع الحال علم الاجتماع) أو ركوده وكذلك تحليل الأزمات التي تنتابه. وبالنسبة للناقد الاستيمولوجي للسوسيولوجيا العربية أو الجزائرية على حد سواء فإن املهمة غامضة أو صعبة كما وصفها أحد الباحثين، فعلم الاجتماع العربي عموما في أزمة، أزمة وجود وأزمة اغتراب ملا هو موجود، إاستيمولوجي أمام هذه الوضعية؟ من هذه الوضعية - وضعية تعطل املعرفة السوسيولوجية في الوطن العربي نتيجة تعطل تطور الفكر العربي عن انتاجها - تبدأ مهمة الناقد العربي الأساسية فيجب الانطالق من مبررات املعرفة السوسيولوجية وعن الشروط الابستمية لقيامها ومدى وعي الفكر بواقعه إلتنتاجها، يكون هذا الفكر الوعاء املعرفي الذي يهيء للمعرفة السوسيولوجية ظروف وجودها. نفهم من هذا كله أن الحالة الراهنة لعلم الاجتماع في العالم العربي تستوجب نقدا وذلك على ضوء الواقع الاجتماعي والفكري الذي تتحرك فيه نشأت سوسيولوجيا املعرفة نتيجة أزمة الفكر الحديث أو أزمة السوسيولوجيا الغربية، لتدرس الروابط الاجتماعية بين النظريات وأنماط الفكر، من الجانب النظري أما من الجانب السوسيوتاريخي فإنها تحاول تعقب أشكال التي اتخذتها هذه الاجتماعية - التاريخي. أ. التحليل املبريقي - البنائي للطرق التي بواسطتها تؤثر العالقات الاجتماعية على الفكر. املوضوعية، (العلاقة بين الفكر والواقع في التطور الفكري للإنسانية.)مانهايم، وتبرز أهمية علم اجتماع املعرفة كعلم يسمح لنا بدراسة شرطية ووظيفية الفكرة، وفي نفس الوقت وبحكم أن هذا الواقع له حضورا في الفكر، حنطابلي، يتمثل في جملة من الأسئلة والتوجهات املنهجية، غرضها دراسة املحددات

الاجتماعية للمعرفة والسيما إن علم الاجتماع المعرفة يريد أن يضع تحت واليته محددات المعتقدات والإيديولوجيات وكذلك المعرفة (وف. إذن القضية الأساسية المطروحة في علم الاجتماع هو أنه بمعونة علم الاجتماع المعرفة يمكن الوصول إلى الحقيقة المثلثي والذي يبدأ بالافتراض بأن الباحث في قضايا المجتمع والتاريخ، مهما كان موضوعيا في أهدافه، فيها وجهات نظر الباحث نفسه جزئية وناقصة،) مانهايم، الصفحات 25-26). وقد اقبل الاهتمام المتأخر نوعا ما بعلم اجتماع المعرفة، شاعدا ال يدحض على ضرورة فمعرفة المعرفة (أي معرفة مدى ارتباط أشكالها بالإطار الاجتماعي، وهي مهمة علم اجتماع الرئيسية، ومن ثمة مالحظة الواقع ودراسة خصوصياته على الصعيد المعرفي، تؤدي بنا حتما إلى تحديد معالم علم اجتماع عربي، يتالءم مع الملطيات العربية بصفة عامة.